إضاءة

آلية تتخطّى عقبات النظام العالمي وأعطابه

هل تحُدّ إتِيقا التضامُن من الوحشية الليبرالية؟

تبدو إتيقا التضامن، كما اقترحها ريتشارد رورتي، جيّدةً نظريًّا، لكنّها تبقى بعيدة التحقّق من دون آليات تُجسّد تضامناً يتخطّى حدود التعاطُف ليكون بمقدوره تخفيف وحشيّة نظام اقتصادي مشحون بكلّ نوازع الأنانية والفردانية ومتحرّر من كلّ القيم الإنسانية

محمد جديدي

سؤال يفرض نفسه كلّما توالت أحداث الحرب ومآسي العالم وأزماته المتعدّدة في الصحّة والبطالة والهجرة والفقر وسوء التغذية والتهميش وبكلمة واحدة قسوة الحياة، ولا سيما أنّ بعض المنظّرين السياسيّين يُشيدون بالليبرالية، باعتبارها أفضل وأنجع نظام عرفه التاريخ البشري، فهل تستطيع «إتيقا» التضامن الحدّ من وحشية النظام الليبرالي وأيديولوجيته في عولمة ليس اقتصاد السوق فقط، بل أفرازاته السلبية على دول ومجتمعات تفقد كل يوم مكانتها في التاريخ وفي الجغرافيا وفي السيادة أيضاً؟ وهل بمقدور هذه الإتيقا (فلسفة الأخلاق) من التضامن أن تجيب عن السؤال: ما معنى أن يعيش المرء في عالم اليوم وتميط عن أذهاننا صورة عبثية العالم وبشاعته؟

يقي طموح فلسفي يُراود الفيلسوف الأميركي ريتشارد رورتي (1931 - 2007)، في تقليص حدّة القسوة عن العالم، وذلك أمله الكبير، وهو من اعتقد بأنّ الأمل أحسن من المعرفة، في أن يكون العالم أقلّ فظاظة. فهل تبدّد هذا الطموح ونحن نشهد بعد سبع عشرة سنة من رحيله صورة أخرى أشدّ بشاعة وأكثر وحشية من كلّ مشاهد الحروب والجرائم التي عرفتها البشرية حتى اليوم. إن ما اقترفته «إسرائيل» في غدوانها على غزّة منذ ما يزيد على ثمانية أشهر يفوق كلّ الحروب وحشيّة وقسوة.

يُراهن رورتي، وهو العارف بخبايا مُعضلة الليبرالية ومآزقها، على إتيقا التضامن للتقليص من وحشية الليبرالية. في تصوّره فإنّ كلّ الأخلاق التي نتمسّك بها أو نطمح في أن تكون، أداة الإنسان للتقليل من الشرور في هذا العالم، إنما هي سند وواجهة إنسانية أو آخر ما تبقّى للإنسان من ملاذ في هذا الوجود حتى لا يهوي ويسقط في متاهة الوجود العبثي. فهل يحقّق التضامن انتشال البشرية من مستنقع ازداد تلوّثاً بكل الماسي وتضاعفت آفاته، وأوّلها الحروب؟

للبشر في وصف العالم، بحسب رورتي، طريقتان: منهم من يبحث عن الحقيقة والموضوعية غير آبه ببنى جنسه في سبيل بُلوغه هذه الغاية وإن التمسها ووجدها في مصدر خارج الإنسان؛ في حين يسعى آخرون للتضامن مُقرّين فيما بين أفراد الجماعة الإنسانية من تساند يحتّم عليهم هذا النوع من التواصل النافع، بين بحث عن الحقيقة والموضوعية، وآخر يتّجه صوب العدالة والتضامن يكرّس الكتّاب طرائقهم في وصف العالم وسرد الوجود.

من اللفظ ذاته solidarité نقرأ فكرة الصلابة solide والتشابك (الذي تفيده ضمن وضمانًا وتضامُناً بمعنى تفاعُل بين عناصر وأطراف يُحيل على تمتين أواصرهم ليس من الداخل فحسب بل من الخارج كذلك، كغلاف يوفر لهم حماية ودعامة)، وإليها يرمي التضامن حينما تكون شكلاً من الإسمنت، الذي يعمل على وصل وربط علاقات الأفراد في نوع من الرباط المُتعاضد في حالات الشدّة وفي حالات الرخاء أيضاً، وإن كانت إتيقا التضامن مطلوبة أكثر في أثناء الأزمة كما استعان بها ليش فالينزا، رئيس بولندا بين 1990 و1995، وأخذ من اسمها عنواناً لحركته العمالية «تضامن» Solidarność، فإنّ مُبتغاها الدائم تجاوز الوضع المعقّد والمتأزّم بأقل ضرر من خلال الفعل التضامني، أي إن التضامن كفعل اجتماعي يغدو نوعاً من الواجب الأخلاقي والاجتماعي المتبادل في تعاون الأفراد فيما بينهم ومساعدة بعضهم بعضاً.

كان داب النظام الليبرالي ولا يزال الرهان على إصلاح نسبي كفيل بإدامته والبقاء على هيمنته عبر إدراج تعديلات بسيطة وسطحية تعزّز من إطالة عمره، وهي الإجراءات التي حافظت على بقائه على الرغم من التنظيرات التي كانت تتنبأ بزواله، لكن وللحقيقة التاريخية فقد تفطّن الليبراليُّون إلى الخطر المهدّد لكيانهم فعملوا على تحسين وتحصين صلتهم بالعمال (تقليص ساعات العمل، زيادة الأجور، تحسين ظروف العمل...) وهو ما ساهم في جوّ من الاستقرار وامتصاص غضب الطبقة العاملة الذي قد يُفضي إلى التمرّد والاحتجاج والثورة.

في الوقت الذي يسعى فيه الليبرالي للعمل على ضمان بقائه، يسعى العامل من جهته للتضامن. فبين الضمان والتضامن تكمُن حقيقة الوضع الإنساني الحديث، فبين ربّ عمل لا يهمّه في علاقته سوى تأمين ما يفترض تحقيقه من ربح وعامل يعلم أن تحصيل حقوقه لن يكون إلا عبر التضامن.

دعا رورتي في مشروعه الفلسفي إلى تأكيد مبدأ التضامن سنداً كفيلاً للحدّ من مساوئ النظام الليبرالي أو للتقليل من سلبيّاته.

> تزداد الحاجة للتضامن خلال الأزمات ويُصبح واجبا أخلاقيا

> راهنت الليبرالية على إصلاح نسبي كفيل بإدامة هيمنتها

فالنظام المذكور بعدما تشكّل نظاماً وتبلور إطاراً لتنظيم المجتمع الحديث اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً، فرض نفسه وتسيّد المشهد، حتى بات في عُرف بعضهم «نهاية للتاريخ» (هيغل وفوكوياما)، وهو آخر ما انتهت إليه البشرية طوال تاريخها، بيد أنّ الأزمات التي تلّت تُلازمه أفرزت جملة مشكلات وسلبيات كان يتوجّب تجاوزها، وبدا أن مبدأ التضامن قد يساعد في الحدّ من ظواهر سلبية لطالما لازمت الليبرالية وجعلتها عُرضة لانتقادات كبيرة.

في مجمل كتاباته، كان رورتي يدعو إلى التحلّي بروح تضامنية التي تسمح دون شكّ بتجسيد نموذج المشروع المجتمعي اليوتوبي الذي تتوجّه الحرية ويتحقّق فيه شيءٌ من التضامن الإنساني الكفيل بتقليل من قسوة العالم وفظاظته.

لقد شكّل التضامن هاجساً لفيلسوف البراغماتية الجديدة، وهو يُدرك أنّ دفاعه عن الليبرالية -وهو العامل المشترك الذي يتقاسمه مع نُخبة من الفلاسفة المعاصرين أمثال تايلور وبرنشتاين وآخرين- لن يكتمل دون سدّ الثغرة أو بالأحرى الثغرات التي تفرزها الآليات الليبرالية الرأسمالية، من فرط في الحرّية الاقتصادية كالملكية الخاصة والربح اللّامحدود والاحتكار وفرض قوانين اقتصاد السوق وغيرها من أدوات الهيمنة لأرباب العمل والمال وسطوة الإدارة وأجهزتها البيروقراطية على الحياة العامة.

في ظلّ وضع اجتماعي خاضع لاقتصاد كهذا، يتوقّع أن تطفو إلى السطح اختلالات في النسيج الاجتماعي، مُفرزةً ظواهر من التفاوت والتهميش والإقصاء لفئات اجتماعية واسعة يتّسم وضعُها بالهشاشة والانهيار، فتتسبّب في بعْث أجواء من التوتر الاجتماعي يستحيل معها بلوغ الاستقرار والسعادة بالنسبة إلى الفئتين الفقيرة والثرية.

(باحث وأكاديمي جزائري)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

متظاهرة ترفع لافتة «كلّ العيون على غزّة» خلال مسيرة تضامنية في باريس، 8 حزيران/ يونيو 2024 (Getty)

في عالَم متفرّج

تجاهل الغرب، وهو يصطفّ خلف الإبادة الإسرائيلية في غزّة، التضامن بما هو قيمة، في حين تحرّرت شعوبه وطلّابه ومحاميه بجرأة أخلاقية أكبر، منددّة بجرائم «إسرائيل» التي تجاوزت كلّ الحدود في ملاحقة الفلسطيني لإبادته في عالم متفرّج على المذابح والمجازر المُرتكبة بحقّ الأطفال والنساء. فهل يكفي تضامن الشعوب، وهي تُجدّد أشكال تضامنها مع غزّة، من دون الدول لقهر قوى الشرّ والتآمل والظّلم ومجابهة أعداء الإنسانية؟

هموم شعرية

القصيدة مثل الرواية لا تُقرأ من المنتصف

زكي الصدير

تقف هذه الزاوية مع شاعر عربي في علاقته مع قارئه وخصوصيات صنعته ولا سيما واقع نشر الشعر العربي المعاصر ومقروئيته

القطيف ـ العربي الجديد

■ من هو قارئك؟ وهل تعتبر نفسك شاعراً مقروءاً؟

لكلّ شاعر قارئ افتراضي يكتبُ له قصيدته، وربّما يكون ذلك القارئ هو انعكاس الأنا في الآخر. لهذا أجدُني مديناً لهذا القارئ/ العدم. وبالتالي فإنّ مقروئية الشاعر أمرٌ نسبيٌّ مُناط بماهية القراءة وسؤال «ما طبيعتها».

■ كيف هي علاقتك مع الناشر، هل لديك ناشر وهل هو الناشر الذي تحلم به لشعرك؟

منذ أوّل إصدار لي عام 2006 وأنا أتنقّل بين الناشرين، سواء السعوديّين أو الخليجيّين أو العرب، لكنّي الآن أجدني مَيّالاً إلى ناشري الأخير «دار المتوسّط»، فقد اعتنى عنايةً خاصّة بإصداري الأخير. أضف إلى ذلك أنّ عقدي مع الدار كان غير ربحي، إذ لا تتقاضى «دار المتوسط» - حسب تجربتي - أيّ مبلغ للنشر، وهذا أمر يناسبني جدّاً، لأنّي ضدّ نشر الكتب على حساب المؤلّف، فإنْ كان الناشر مؤمناً بالكتاب، فسيراهن عليه ويتحمّل مسؤولية هذا الرهان.

■ كيف تنظر إلى النشر في المجلات والجرائد والمواقع؟

أجد فيه جسراً تواصلياً دائماً بين الشاعر وقارئه.

■ هل تنتشر شعرك على وسائل التواصل الاجتماعي، وكيف ترى تأثير ذلك في كتابتك أو كتابة زملائك ممن ينشرون شعرهم على وسائل التواصل؟

المجموعة الشعرية مشروعٌ كامل، لا بأس في نشر بعضها، أو ما يمثّلها وينقل روحها. لستُ ميّالاً إلى نشر العمل الذي لم يكتمل بعد، فالنشر يفسد مزاجَ المطبخ الشعري. على الشاعر أن يُكمل مناخات عمله بالكامل ثم يكشفه للقارئ، فالنصّ الشعري حاله حال الرواية، لا يمكن قراءته من المنتصف.

■ من هو قارئ الشعر العربي اليوم في رأيك؟

لا يوجد قارئ للشعر العربي بمعناه الحقيقي الذي يمكن دراسته كطيف وجودي محدّد، ولكن هنالك انزياحات للشعر في السينما والفنون البصرية والأدائية، التي هي ديوان الشاعر الجديد، ويجب العناية بها بمسؤولية أكثر وعياً ممّا هو عليه الآن. صناعة المحتوى الشعري لم تعُد منبرية أو ورقية، بل تجاوزت ذلك إلى منصّات بصريّة ذات حضور جماهيري أوسع، يوتيوب وتيك توك وإنستغرام وغيرها. ربّما على الناشرين الكلاسيكيّين أن يتحوّلوا إلى تلك المنصّات ويعتنوا بصناعة المحتوى البصري لإصداراتهم بالشراكة مع الشعراء صوتاً وصورة.

■ هل توافق أنّ الشعر المترجم من اللغات الأخرى هو اليوم أكثر مقروئية من الشعر العربي، ولماذا؟

هنالك جملة رائعة قالها أحد أبطال فيلم Paterson: «الشعر المُترجم يشبه الاستحمام بالطلاء». وأنا أتّفق جدّاً مع ذلك. فإمّا أن تقرأ الشعر بلغته الأصلية أو عليكَ الاكتفاء بقراءة سيرة الشاعر لمعرفة أبعاده النفسية والوجودية التي شكّلت وعيه الشعري.

> نحتاج اعتناءً بصناعة المحتوى البصري للإصدارات الشعرية

■ ما هي مزايا الشعر العربي الأساسية وما هي نقاط ضعفه؟

سيقول أنصار قصيدة العمود إنّ علم العروض هو ما يُميّز الشعر العربي، وسيقول شعراء قصيدة النثر إنّه الموسيقى الداخلية، وسيقول آخرون إنّها اللّغة نفسها.

ولكن لا شيء من ذلك دقيق ويمكن المراهنة عليه. في ظنّي فإنّ القوّة أو الضعف ليسا في اللغة وإنما في الشاعر نفسه.

■ شاعر عربي تعتقد أن من المهم استعادته الآن؟

ما الفائدة؟ حتى لو استعدنا الشاعر، فهل سنستعيد منصّاته الشعرية؟ هل سنستعيد التاريخ والجغرافيا والأنا العربية العالية؟!

■ ما الذي تتمنّاه للشعر العربي؟

أن يكون إنسانياً بهوية كونية.

زكي الصدير

بطاقة

شاعر وكاتب سعودي من مواليد عام 1975. صدر له في الشعر: «جنّيات شومان» (2008)، و«حانة» (2011)، و«شهوة الملائكة» (2013)، و«عودة غاليليو» (2018). وتصدر له قريباً مجموعة شعرية بعنوان «المبيت في خنادق الملح». له في النثر: «30 شاعراً، 30 قصيدة» (2016).

قراءة

غسّان الصامتي عن مجتمع يطحن أفراده

دفء الريف التونسي وقسوته في «النغل»

يعرض الكاتب التونسي، في روايته، لفقر الريف في بلاده، حيث يهيمن العُنف كبذرة تنبت من داخل مجتمع يُربّيها بالمزيد من الكراهية والذكورية

سومر شحادة

في دورتها الثالثة (2024)، تضيف «جائزة مي غصوب للرواية»، التي تنظّمها «دار الساقي»، صوتاً جديداً إلى الرواية العربية؛ هو الكاتب التونسي غسّان الصامتي. صوتٌ يأتي بأسلوب قوله معه، فروايتُه الفائزة (أصدرتها الدار خلال العام الجاري)، حكايةٌ تونسية أمينة لأزمات تونس، بقدر ما تقترح أسلوب بنائها السردي.

وفي الأسلوب، تنقسم رواية «النغل» إلى ثلاثة فصول مُنفردة بذاتها؛ إذ يمكن للفصل الأوّل أن يكون حكاية منفصلة عن طفل يعيش هناءً مسروقاً مع جدّته، إذ يختبر سنوات المراهقة الأولى، ويحاول بمفرده اكتشاف جسده - إذ لا نعرف شيئاً بعدُ عن الأب أو عن بقية ذكور العائلة - والمُراهق متروك ليعرف ما هو عليه، وما يحدث معه، خلال الفصل الأوّل، ليس إلّا محاولاته لتقتير مساحة الجهل بجسده. هو يكتشف جسده، كأنّ ما يحدث معه حدث معه فقط، ببساطة لأنه يعيش بمفرده مع جدّته، ببساطة لأنّ الآخرين يتذكّرون له، لأنّه، كما نعرف في نهاية الفصل الأوّل، نغلٌ، «ابن حرام»، طفل غير شرعي. عند هذا التعريف للشخصية يبدأ الفصل الثاني، الذي يخفّف فيه الصامتي الغموض بشأن نشأة النغل، وهو غموض يتكشّف عن نشأة لا تقلّ تعاسة، إذ نعرف أنّ والدته عانت كي تُنجبه، وقد أنجبته في عمر متأخّر، ورحلت بولادته، فيما والده ترك الأمّ، ولاحقت الشكوك حقيقة نسبه. حتى أنّ جدّته لوالده رفضته، وتلك الجدّة التي نشأ معها، واحتضنته حتى صار شاباً؛ ربّما تكون القابلة، النصّ يُناديها الجدّة سالمة، من غير أن يُخبرنا إن كانت جدّته لوالدته، مع ذلك، فالعلاقة التي تجمع الحفيد بالجدّة إحدى أشكال المآثر التي يحفل بها الأدب، وذلك الدفء الذي تنطوي عليه العلاقة بينهما، يحيق به برد الخارج، والطمأنينةُ التي يحظى بها النغل، صنعتها أساساً الكراهيةُ التي كان يقابَل بها بعيداً عن الجدّة. وقد ابتعد عنها النغل في الفراغ الذي ملأه علينا الكاتب في الفصل الثاني بحكاية عن نشأته. في الفصل الثالث، تعود الجدّة التي تعرّضت للحجر الصحّي مدّة عام كامل، بسبب انتشار مرض السلّ. عام أمضاه النغل مع فتيان القرية في حظائر العمدة. وعندما ترجع الجدّة، تأخذه مجدّداً إلى دفئها، إلى حنانها الغامر الذي يشعّ في الحكاية كلّها.

هذه هي حكاية «النغل» الذي انتهى شريداً في شوارع تونس. وقد عرضها الصامتي بلُغة مقتصرة ومباشرة ومتماسكة، وبمشاهد متقنة تصف الريف وتعرض العلاقات الإنسانية في ذلك الفضاء الفقير، مشاهد عن الجهل والمرض وقسوة المجتمع. إنّه مجتمعٌ قاس يتآكل بقواه الداخليّة، يطحن مصائر أفراده بقواه الذاتية. وكأنّما العنف بذرة تنبت من داخل المجتمع، الذي يربّيها بالمزيد من الكراهية والقيم الذكورية. لا دلالات كبرى في الرواية، إنّها تدور في عالم من الفقر المدقع، وهذا ما صنع تميّزها. رواية تجري أحداثها في حيّز مغلق، وغناها غنى الشرور الصغيرة التي تخرّب على البشر عيشهم. واللحظات الإنسانية التي فيها هي اللحظات العادية التي قد تحضر في طفولة كلّ قارئ، لجدّة تضمّ حفيدها إلى ذراعيها وهي تحاول أن تحميه ممّا يجهل بصورة مؤقّتة؛ لأنّه ما إن يكبر حتى يعرف أين يعيش، وبموت الجدّة يتأكّد له انتهاء عالمه الأثيري الذي كان مسوّراً بالقسوة والعنف.

(روائي من سورية)

> تدور الرواية في عالم من الفقر المدقع، وهذا ما صنع تميُّزها

تلاميذ في طريقهم إلى المدرسة بمنطقة دوّار السلاطنية في سيدي بوزيد وسط تونس، كانون الأوّل/ ديسمبر 2015 (Getty)

فعاليات

حتى الثلاثين من الشهر الجاري، يستمرّ في «البيت العربي» بقرطبة معرضٌ بعنوان **تطريز**. المعرض ناتج عن سلسلة ورشات تديرها المصمّمتان الفلسطينيتان الإسبانيتان **دينا عصفور** و**ميسون الشيخ**، ويتناول فنّ التطريز التقليدي ومعناه في الهوية والثقافة الفلسطينيّتين، كما في الاقتصاد والمجتمع.

محو المخيّمات: الاستهداف الإسرائيلي للاجئين والمخيّمات في الضفّة الغربية، عنوان ندوة تُنظّمها «مؤسّسة الدراسات الفلسطينية» عبر «زووم»، عند الثانية من مساء الثاني من تمّوز/ يوليو المقبل. تهدف الندوة إلى استكشاف بنية العُدوان الإسرائيلي المكثّف على المخيّمات الفلسطينية، ويشارك فيها كلٌّ من: **أنور حمام**، و**إبراهيم سميح ربايعة**، و**أحمد عز الدين أسعد**.

حتى السابع والعشرين من تشرين الأوّل/ أكتوبر المقبل، يستمرّ معرض **AraboFuturos**، الذي ينظّمه «معهد العالم العربي» في باريس. يشارك في المعرض سبعة عشر فناناً عربياً، بأعمال عن الخيال العلمي، تتناول ثيمات العولمة، والحداثة، والبيئة، والهجرة، والجنس، والتحرّر من الاستعمار.

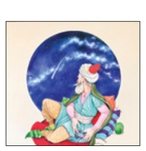

يتواصل في غاليري «مايا آرت سبيس» ببيروت، حتى الأحد المُقبل، معرضٌ تشكيلي بعنوان **حكايات الحلم الكوني** للفنّان الإيراني **حماد جواد زاده**. بزخرفة ومنمنمات تنتمي إلى التراث الحكائي في إيران، يُقدّم جواد زاده لوحات زاهية يُوظّف فيها البشر والطير والحيوان بأسلوب سريالي.